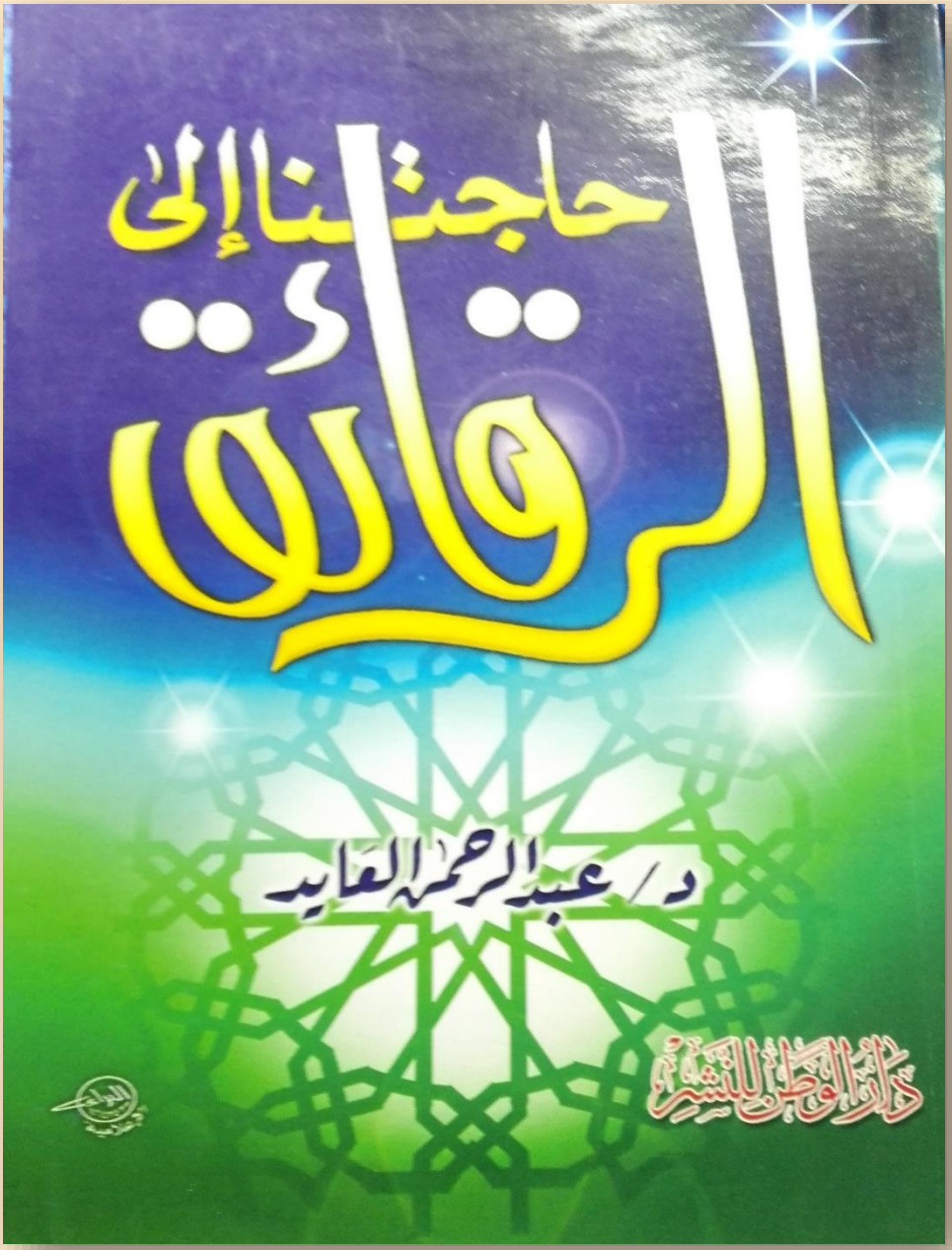
حاجتنا إلى
الرقائق
د/ عبد الرحمن العايد
دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله.

أما بعد:

فالاهتمام بما تزكو به النفس ويرق به القلب حتى ينقاد لشرع الله، ويستجيب لأمره ونهيه من أعظم أسباب الخير في الدنيا والآخرة.

وإذا أردنا طريق السعادة فعلينا بالاهتمام بقلوبنا وإصلاحها ومداواة أمراضها وأسقامها حتى تستجيب لربها. والقلب يحتاج إلى وعظ يرده إلى الحق ويردعه عن الشر.

وموضوع رسالتنا هذه بعنوان(الرقائق) وستناوله في النقاط التالية:

١- تعريف الرقائق.

٢- أسباب الكتابة في هذا الموضوع.

٣- أهمية الرقائق وحاجتنا إليها.

٤- الرقائق

٥- عناية السلف بالرقائق.

٦- التوازن في الرقائق.

أولاً: تعريف الرقائق:

الرقائق– وتسمى أيضاً الرقائق والمعنى واحد:

جمع رقيقة، وهي ما تُحْدِث في القلب رِقة، والرِّقة: الرحمة واللين.

قال الراغب: متى كانت الرقة في نفسٍ فضدها القسوة، كرقيق القلب وقاسي القلب.

ثانياً: أسباب الكتابة في هذا الموضوع:

١- أن الرقائق من العلم وليست خارجة عن دائرة العلم كما يعتقد بعض الناس.

٢- إقبال الدنيا وتزينها في هذا العصر حتى أسبحت هَمَّ الناس.

٣- حاجة الناس لما يرقِّق قلوبهم، ويزيل عنهم الغشاوة والقساوة.

٤- أهمية هذا الموضوع في هذا الزمن المادي الذي يقدِّس الأساس التحليلي والإقناع العقلاني.

٥- إغفال هذا الموضوع من قِبَل الملتزمين؛ وذلك راجع إلى:

أ) اعتقاد أن مثل هذا الموضوع شأن العامَّة أو المبتدئين من الملتزمين، وأما الملتزم منذ زمن فعليه بالأشياء الأخرى كالمناقشات الفكرية ونحوها.

ب)اعتقاد أن الكلام في هذا الموضوع أو الاهتمام به من شأن الصوفية.

جـ) أن هذا العصرٌ عصر مادي يحتاج إلى الإقناع العقلاني ولا يهتم بالعاطفة.

ثالثاً: أهمية الرقائق وحاجتنا إليها:

إن المسلمين عموماً عالِمهم ومتعلِّمهم وجاهلهم يحتاجون جميعاً إلى ما يُرقِّق قلوبهم، ويتسبَّب في خشوعها وإنابتها إلى الله، وتتَّضح أهمية الرقائق أو حاجتنا إلى الرقائق في النقاط التالية:

(١) أن مَن كان قبلنا كانوا يعيشون في محيط إسلامي والمنكرات تستتر، أما الآن فالمنكرات كثيرة، مما يزيد احتمال تأثُّر المؤمن بها من حيث لا يريد، فتكون الرقائق بمثابة الوقود التي تعطي المسلم طاقة في مواجهة هذه المنكرات.

(٢) أن الرقائق تعطي قوة دفع للمسلم لامتثال ما يُؤْمَر به والانتهاء عما ينهى عنه، فمثلاً كان أول ما أُنزل ذكر الجنة والنار وما فيهما وما أُعد لأهلهما، ثم نزلت الأحكام بعد أن تهيَّأت النفوس للقبول. تقول عائشة: (أول ما نزل من القرآن سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول ما نزل (لا تشربوا الخمر) لقالوا: لا ندع الخمرة أبداً).

(٣) الرقائق تقوِّي الإيمان الذي يعين المسلم على الثبات في مواجهة الشهوات، ومن المعلوم أن الشهوات سبَّبت ضعف إيمان كثير من المسلمين.

(٤) أن مخاطبة العقل وحده قد لا تكفي ما لم تكن ممزوجة بإثارة العاطفة، إذ إن مخاطبة العقل وحده قد لا تنتج إلا معلومات نظرية جافة لا حياة فيها، أما مخاطبة العقل والعاطفة فتؤدي إلى الإقناع والتطبيق العملي.

(٥) الرقائق تُجدِّد الإيمان في القلب.

(٦) طلبة العلم والدُّعاة بحاجة إلى الرقائق، وذلك لما يلي:

أ) العناية بالرقائق تُجَنِّب طالب العلم بإذن اللن الإصابة ببعض الآفات، كافة العجب أو الحسد أو الهوى أو غيرها، فإنها تصيبه في مقتل.

ب)طالب العلم والداعية يدعوان الآخرين إلى طاعة الله، والإنابة إلى الله، والإخبات إليه، والخشوع والخضوع؛ مما يجعل هذه الأمور لا بدَّ من توفرها في هذا الداعية، إذ إن فاقد الشيء لا يعطيه، والذي يوفِّر هذه الأشياء في نفس الداعية الرَّقائقُ.

ج) طالب العلم والداعية قدوة للآخرين فيستفيدون منه، والاستفادة من فعله أبلغ من الاستفادة من قوله، لذا لا بدَّ أن يكون رقيق القلب، وقد كان السلف يعنون عند طلبهم للعلم بانتقاء الشيخ الذي يتعلَّمون منه ويأخذون عنه، فينظرون إلى عبادته وهديه وسَمْته، فإنْ أحسن هذه الأشياء أخذوا عنه وإلا تركوه.

د) الداعية يتعرَّض للامتحان والابتلاء، والذي يعينه على الثبات بإذن الله الرقائق.

رابعاً: الرقائــق:

أي ما الأشياء التي يمكن أن تطلق عليها رقائق؟ أي الأشياء التي تُسَبِّب رقة القلب؟

الرقائق هي ما يلي:

(١) معرفة الله ومعرفة أسمائه وصفاته، واقتضاء هذه المعرفة لآثار هذه الأسماء الحسنى والصفات العُلا من العبودية.

فإذا عرف الله.. كيف يعصيه؟ كيف يعصي ربَّه وهو يعلم أنه صائر إليه موقوف بين يديه؟ وكذلك يعرف أسماء الله وصفاته حق المعرفة بأن يؤمن بها ويستحضرها في قلبه، ويستحضرها في قلبه عند الطاعة فيُقْبِل إليها، وعند المعصية فيحجم عنها.

ومعرفة أسماء الله وصفاته تُرَقِّق القلب، فإذا علم بسمع الله تعالى وبصره وعلمه المطلق حفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه عن كل ما لا يرضي الله، يقول ابن القيم في (مفتاح دار السعادة)[(٢/٩٠)]: (وعلمه- ويقصد العبد – بسمعه تعالى وبصره وعلمه وأنه لا يخفى عليه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وأنه يعلم السِرَّ وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور، يُثْمِر له حفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه عن كل ما لا يرضى الله، وأن يجعل تعلُّق هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه؛ فيُثمر له ذلك الحياء باطناً ، ويُثمِر له الحياء اجتناب المحرَّمات والقبائح).اهـ.

وإذا عرف أن الله هو الجبار العزيز شديد العقاب؛ لم يجرؤ أن يبارزه بالمعصية، وإذا علم أن الله هو الرحمن الرحيم الغفور الودود؛ رجاء رحمة ربِّه وأحبَّ خالِقه.

فإذا عرف الله بأسمائه وصفاته؛ أحبَّ ربَّه سبحانه وخافَه ورجاه، فلا يكون في قلبه مكان لحبِّ غيره أو مكان لخوف غيره أو مكان لرجاء غيره.

وليس من معرفة أسماء الله وصفاته أن نجعلها دافعاً لنا للمعصية، فنقول: إن الله غفور رحيم، ما يدفعنا إلى أن نعصيه، وننسى أنه أيضاً سبحانه شديد العقاب.

(٢) ذِكْر الجنَّة والنَّار:

إذا أراد المسلم أن يرقَّ قلبه ويخشع لخالِقِهِ فليتفكَّر في الجنة والنار. يتفكَّر في النار وصفتها وأهوالها وأنكالها، وأن الصخرة العظيمة لتلقى في شفير جهنم فتهوي فيها سبعين خريفاً ما تفضي إلى قرارها، وأن وقودها الناس والحجارة، وأنها لا يزال يلقى فيها، وتقول: هل من مزيد. ويتفكَّر في أن طعام أهلها الضريع الذي لا يُسْمِن ولا يُغْني من جوع، والزَّقُّوم المتناهي في المرارة، وأنهم يشربون الحميم المناهي في الحرارة، والصديد شيد النتانة.

وليتذكَّر أن لِباس أهلها القطران، تطلى به جلودهم، ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ [الحج:١٩]، هذا مع ما لهم من

التبكيت والتخجيل،﴿ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۞ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ [الملك:٨-٩]

تفـــــــــــكَّر حين يُنادي: أين فلان بن فلان المسوِّف نفسه في الدنيا بطول الأمل، المضيّع عمره في سوء العمل، فيباده الزبانية بمقامع من حديث، ويسوقونه إلى العذاب الشديد، فيسكن في دار ضيّقة الأرجاء مُظلِمة المسالِك، يتمنى الخروج فلا يُجاب، فيتمنى الهلاك ولا يجده، ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ [فاطر:٣٧] ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف:٢٩] إذا تفكَّر في هذا كله رقَّ قلبه ورجع إلى خالِقه.

وكذلك عليه أن يتفكَّر في الجنة ونعيمها وما أعدَّه الله لأهلها؛ فيتفكَّر في أهل الجنة و ﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ۞ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴾ [المطففين:٢٤-٢٥] متكئين على أرائك منصوبة على أطراف أنهار مطردة بالخمر والعمل، ومحفوفة بالغِلمان والوِلدان، ومزيَّنة بالحور العين من الخيرات الحِسان ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ [الرحمن:٥٨] ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ [الرحمن:٥٦] يُطاف عليهم ﴿ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴾ [الواقعة: ١٨]، ﴿بَيْضَاء لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ﴾ [الصافات:٤٦] و ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾ [الواقعة: ١٧]، ﴿ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الواقعة:٢٤] ينظرون فيها إلى وجه الملك الكريم وقد أشرقت وجوههم نضرة

النعيم، لها فيها ما اشتهت أنفسهم، لا يخافون ولا يحزنون.. دار تربتها المسك والزعفران، وسقفها عرش الرحمن، وملاطها المسك لأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والمرجان، ثمارها القِلال، ألين من الزبد، وأحلى من العسل، أدنى أهلها منزلة من له الدنيا وعشر أمثالها.

إذا تفكَّر في هذا كله رقَّ قلبه، ورجع إلى ربِّه، امتثل أمره وانتهى عن نهيه.

(٣) ذِكْر الموت وما بعده من عذاب القبر ونعيمه:

الموت حقيقة لم يجادل بها أحد، والجميع مقتنع بأنه سيموت، ولكن قَلَّ من يضع الموت نصب عينيه؟ وذِكْر الموت يُرَقِّق القلب، ويُزَهِّد في الدنيا، ﴿أكثروا من ذِكْر هادم اللذات﴾ [رواه الترمذي برقم (٢٤٦٠)، والنسائي برقم (١٨٢٤)، وصحَّحه الألباني في (صحيح الجامع) برقم (١٢٢١).]، فإذا تفكَّر أنه سينتقل من قصره إلى قبره، ومن التنعم بالطعام والشراب إلى التمرُّغ في التراب، ومن أنس العشرة إلى وحشة الوحدة، ومن الفراش الوثير إلى المصرع الوبيل، وأن الدود سيكون أنيسه، ومنكر ونكير جليسه.

إذا تفكَّر في سكرات الموت وأنها أشد من ضرب بالسيوف، ونشر بالمناشير، وقرض بالمقاريض. وإذا تفكَّر فيما سيلقاه في قبره، وأنه إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار. إذا تفكَّر في هذا كله ارتدع عن المعاصي ورقَّ قلبه لخالِقه.

(٤) التفكُّر في أهوال يوم القيامة:

مِن نَفْخ الصور، والبعث يوم النشور والعرض على الجبار، والسؤال عن القليل والكثير، ونصب الميزان لمعرفة المقادير، وجواز الصراط، وأحوال الناس في جوازه، وتطاير الصحف،

وهل ستأخذ كتابك بيمينك أو بشمالك، وسماعك المنادي وهو ينادي بصوت مسموع: سعد فلان بن فلان، أو شقي فلان بن فلان.

وتتفكَّر في طول هذا اليوم وشدة الانتظار فيه، والخجل والحياء من أن تفتضح عند العرض على الجبار، في ذلك اليوم لا ينفع صديق صديقه، ولا والد ولده، ولا قريب قريبه، و﴿ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ﴾ [فاطر:١٨]

إذا تفكَّر في هذا كله فحريٌّ أن يرق قلبه ويخشع.

(٥) **زيارة القبور:** ﴿ كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها﴾ رواه مسلم [مسلم برقم (٩٧٧)] وزاد الترمذي: ﴿ فإنها تُذَكِّر الآخرة﴾[الترمذي (١٠٥٤)]، وزاد ابن ماجه من حديث ابن مسعود: ﴿ وتزهد في الدنيا﴾ [ابن ماجه (١٥٧١)].

زيارتك للمقبرة تجعلك تتفكَّر أن هذا مآلك شئت أم أبيت، فيدفعك هذا إلى أن تقدم من الأعمال ما يجعلها عليك روضة من رياض الجنة بإذن الله.

(٦) **استحضار سوء الخاتمة وحسنها:**

إذا كان العبد يرجو حُسن الخاتمة ويخشى من سوئها، واستحضر ذلك دفعه ذلك إلى ما يبعده عن سوء الخاتمة ويقرّبه إلى حسنها بإذن الله؛ مما يجعل قلبه وَجِلاً خائفاً من سوء الخاتمة، راجياً حسنها فيرق لذلك.

(٧) تكُّر الذنوب السابقة:

إن عدم نسيانك ذنوبك وتقصيرك في حقِّ خالقك يدفع إلى أن تزيد في العمل بعد أن يكون قلبك خائفاً من ربِّه وَجلاً، يقول ﷺ : ﴿ **إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه في أصل جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرَّ على أنفه فقال به هكذا**﴾ [رواه البخاري برقم (٦٣٠٨).]

(٨) معرفة الدنيا وما جُبِلَت عليه من التقلُّب:

فكم من غني افتقر، وكم من عزيز ذلَّ، وكم من جبار قصم، وكم من ظالم ظُلم.

جُبِلت على كَدَرٍ وأنتَ تُرِيدُهـا

صفواً من الأقـذاء والأكدار

ومُكلِّفِ الأشياء فوق طباعها

متطلب في الماء جذوة نارِ

إذا اعتبرت بما حلَّ بغيرك رجعت إلى ربِّك- ورقَّ قلبك، والسعيد من وُعظ بغيره، فقل لي بذلك عليك: أتنتظر أن ينزل الله بك مصيبة حتى ترجع إليه ويرق قلبك بعد قسوته؟!

(٩) التفكُّر في آيات الله الكونية:

فقد أُكتشف في هذا العصر من الآيات الكونية مما يجعل الإنسان يعظِّم ربَّه وخالقه، ويرقُّ له قلبه، وكذلك آيات الله في نفسك وما في جسمك من بديع صنع الله وإتقانه، إذا تفكَّرت في هذا أَنَبْتَ إلى الله ورقَّ قلبك ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ [فصلت:٥٣]

(١٠) مجالسة الصالحين:

الذين بمجالستهم تَرِق القلوب سواء كان هذا شيخاً لك يعلِّمك الخير، أو كان صديقاً يساعدك على ما يقرِّبك إلى الله.

فينبغي للمتعلِّم أن يقصد من العلماء مَن اشتهر بالديانة، وعُرِفَ بالستر والصيانة، يقول ابن سيرين: إنما هذا العلم دين فانظروا عن مَن تأخذون؟ والمفترض أن يستفيد طالب العلم رقة القلب من شيخه.

كما أن من الإخوان مَن مصاحبتهم ترقِّق القلب، يقول عمر بن الخطاب ﷺ : **(ما أعطي عبد بعد الإسلام خيراً من أخٍ صالح، فإذا رأى أحدكم ودّاً من أخيه فليستمسك به.)**

(١١) الاستكثار من الأعمال الصالحة:

مَن تقرَّب إلى الله بما افترض عليه فقد نجح، ومَن زاد في تقرُّبه إلى ربه بالنوافل فقد أحبه ربُّه.

استكثر من الأعمال الصالحة مبتدئاً بالفرائض، فكمِّلها على أحسن وجه تستطيع، ثم النوافل، فالإكثار منها مرقِّق للقلب، أكثِر من ذِكْر الله تَبْرَأ من النفاق، أكثر من الصيام يباعِد الله وجهك عن النار، أكثِر من قيام الليل، فاستغفار الأسحار ودموع المناجاة سيماء يحتكرها المؤمنون، لا بدَّ من اغتنام مواسم الطاعات وأيام العبادات وليالي القُرُبات التي وجَّهنا إليها كتاب ربّنا وسُنَّة نبينا محمد ﷺ.

يا رجال الليـــل جِدُّوا رُبَّ صوت لا يُرَد

لا يقـــــوم الليل إلا مَن له عـــزم وجِد

فإن دقائق الأسحار غالية فلا نرخصها بالغفلة.

(١٢) قراءة سِيَر وأخبار السلف:

إن الاطلاع على ما كان عليه السلف الصالح في هذه الأمة من رقَّة في القلوب، وعبادة دائمة لعلام الغيوب؛ يرقق القلب ويجعل في النفس شوقاً إلى أن تحذوا حذوهم وتقتدي

بهم. ولا شك أن أولى من يُقْتدَى به في ذلك الرسول ﷺ فهو لأخشى لله ولأخوف من ربّه سبحانه وتعالى.

يقول بشر بن الحارث: بحسبك أن قوماً موتى تحيا القلوب بذكرهم.

(١٣) قراءة كتب الرقائق والزهد:

والاستفادة من الصحيح فيها وترك ما قد يكون في بعضها من شطحات وابتداع. والحرص كل الحرص على السُّنَّة الصحيحة والاقتداء بما كان عليه رسول الله ﷺ.

(١٤) الدعاء بأن يرزقك الله قلباً خاشعاً رقيقاً لِيّناً مُحِبّاً للخير مُبغضاً للشر.

(١٥) قراءة القرآن بتدبُّر:

وإنما أخَّرت هذا إلى الأخير لأهميَّته، ولأنه في الحقيقة يجمع ما سبق من مرقِّقات أو كثير منها. إن قراءة القرآن بتدبُّر وخشوع وتفُّر، إن مثل هذه القراءة تورِث رِقَّة القلب ولِينه، ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاء وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر:٢٣]

إن بقراءة القرآن تعرف ربَّك حقَّ معرفته بأسمائه وصفاته، وتتذكَّر اطِّلاعه عليك، وبقراءة القرآن تعرف الجنة وما أعدَّ لأهلها فيها، وتعرف قدر الدنيا وحقيقتها بجانب الآخرة، وتعرف الكثير مما يرقِّق قلبك. إن بعض الناس قد يرق قلبه لسماع الشعر، ولا يرق قلبه

لسماع القرآن أو تلاوته، مع أن هذا لو أنْزل على جبل لرأيته: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ [الحشر:٢١]

خامساً: العناية بالرقائق:

لقد اعتنى رسول الله ﷺبما يُرَقِّق قلوب أصحابه ويدفعهم للامتثال، بل وجدوا منه ﷺ قدوة عملية في ذلك، إذ كان أرَقّهم قلباً، وأشدّهم خشية لله وخوفاً منه، وأحرصهم على ما يُرَقِّق قلبه، وكان ﷺ يستعيذ من قلب لا يخشع. ويقول حنظلة بن الربيع الأسيدي أحد كُتَّاب رسول الله ﷺ: (لقيني أبو بكر رضي الله عنه فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قلت: نافق حنظلة. قال: سبحان اللن، ما تقول؟ قلت: نكون عند رسول الله ﷺيذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيراً... الحديث.) [رواه مسلم برقم (٢٧٥٠).]

والشاهد من هذا قوله: (يذكرنا بالجنة والنار) والتذكير بالجنة والنار من الرقائق.

وقد قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [الحديد:١٦]

قال ابن مسعود: **(ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية إلا أربع سنين).**

ولذا اعتنى الصحابة بما يُرَقِّق قلوبهم، وابتعدوا عمَّا يُسبِّب قسوتها.

لقد تعلموا الإيمان قبل أن يتعلَّموا القرآن، فلمَّا تعلَّموا القرآن ازادوا به إيماناً، يقول ابن مسعود (إنما العم خشية الله)

لقد أكثروا من عبادة ربهم العبادة المشروعة، فقد كان يُسمع لهم في الليل كدوي النحل من قراءة القرآن والتهجُّد به، لقد كانوا يبكون من خشية الله، ولهم في ذلك القصص، وكذلك مَن بعدهم.

وصنَّف العلماء في الرقائق كُتُباً مستقلَّة واعتنوا بها، بل إنك لا تكاد تجد كتاباً صنّف في الحديث إلا وأفرد للرقائق والزهد كتاباً أو باباً.

وكانوا يعدون خشية الله ورِقَّة القلب هي العلم الحقيقي، وأن العلم الحقيقي هو ما يورث الخشية ورِقَّة القلب. يقول الحسن: (إن كان الرجل إذا طلب العلم لم يلبث أن يرى ذلك في تخشعه وبصره ولسانه ويده وزهده).

سادساً: التوازن في الرَّقائق:

لا يعني كلامي السابق أن نبالِغ في المشروع، ونتجاوز به حدَّ الاعتدال الذي شرّعه الله عزَّ وجل، وكان هديه ﷺ المثَل الأعلى في ذلك، ولا يجوز لأحد مِن أمَّته ﷺ أن يزيد عليه، أو أن يظن أنه أكمل عبادة من رسول الله ﷺ ، ولا يظن ظان أن الكلام في الرَّقائق يعني الدروشة وترك العلم.

فهذا غير صحيح أبداً، فالرقائق كما سبق باب من أبواب العلم، فالعلم لا بدَّ أن يكون قدوة في خشيته لله وهديه وسَمْته ولو لم يكن فيه ذلك لما قام بواجب العلم، والعلم يؤدي إلى رِقَّة القلب وخشية الله، ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر:٢٨]

إن العلم إذا كان منياً على نهج الكتاب والسُّنَّة فإنه وسيلة لترقيق القلب، وليس صحيحاً أن الرقائق لا يعتني بها إلا المبتدئون أو الدراويش، بل أولى من يعتني بها العلماء وطلبة العلم والدعاة.

وخلاصة القول أن لا بد من التوازن بين أبواب العلم والرقائق وحفظ المسائل وغيرها.

وأخيراً أيها الأخوة:

القلب إذا رقَّ ولان لخالِقه وتوجَّه إلى ربِّه بصفاء روح وَجَد لذَّة تتضاءل بجانبها اللذَّات الدنيوية، ولذا قال محمد بن أحمد المعروف بابن رزقويه: (والله ما أحِب الحياة في الدنيا لكسب ولا تجارة، ولكن لذِكْر الله ولقراءتي عليكم الحديث).

اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلبٍ لا يخشع، ومن نفسٍ لا تشبع، ومن دعوةٍ لا يُستجاب لها، اللهم أقسم لنا من خشيتك ما تَحُول به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما يُبَلِّغنا به جَنَّتك، ومن اليقين ما تُهَوِّن به علينا مصائب الدنيا، اللهم متِّعنا بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا ما أحييتنا، واجعله الوارِث منَّا، واجعل ثَأْرنا على مَن ظلمنا، وانصرنا على مَن عادانا. ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همِّنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تُسلِّط علينا مَن لا يرحمنا.

وصلى الله على نبيان محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهــــــرس

المـــــــــــــــوضوع	الصفحـــــــة
المقدمة...	٢
نعريف الرقائق..	٣
أسباب الكتابة في هذا الموضوع..........................	٣
أهمية الرقائق وحاجتنا إليها................................	٤
الرقـــائق..	٦
العناية بالرقائـــق...	١٥
التوازن في الرقائـق.......................................	١٦
الفــــــهرس...	١٨